اسم الأستاذ: أحلام العلمي

المقياس: نظرية الأدب

السنة: الثانية ليسانس

التخصص: دراسات أدبية

النوع: تطبيق

المجموعة: الثانية (الأفواج 5،6،7،8)

المحاضرة السابعة :نظرية الانعكاس

نظرية الانعكاس

في القرن التاسع عشر ظهر ادب جديد اصطلح على تسميته بالأدب الطبيعي والأدب الواقعي، وقد جاء هذا الأدب نتاجا للتقدم العلمي والتكنولوجي والاقتصادي والاجتماعي؛وبظهور هذا الادب الجديد ظهرت محاولات عديدة تربط الادب والحياة اوالبيئة او الوسط اوالمحيط أو الواقع اوالظروف الاجتماعية.

ويرى "تين" ان الادب تؤثر عليه عوامل ثلاث:

1_الجنس أو العرق أو النوع: ويقصد به الخصائص القومية اذ يرى ان أدب أمة ما يختلف عن أدب أمة أخرى.

2_البيئة:فالانسان في بيئته خاضع لأوضاع حتمية، هي التي تتحكم بالأدب والحياة العقلية.

3_الزمن،أو اللحظة التاريخية: وهو ما يجعل مفهوم البيئة متحركا ويعني به روح العصر او مكان العمل الادبي من تاريخ التراث وربما يعني به ما عبر عنه قديما "لكل زمان دولة ورجال".

1_في مفهوم نظرية الانعكاس:

خلافا للنظريات الثلاث (المحاكاة _التعبير_الخلق) ولآراء تين ،استندت نظرية الانعكاس في تفسير الادب نشأة وماهي ووظيفة الى الفلسفة الواقعية المادية ،حيث ترى هذه الفلسفة بأن الوجود الاجتماعي أسبق في الظهور من وجود الوعي بل ان اشكال الوجود الاجتماعي هي التي تحدد أشكال الوعي ،وقد استطاعت نظرية الانعكاس ان تقدم مفاهيم جديدة تماما عن نشأة الادب وطبيعته ووظيفته، ولعلها اكثر النظريات حيوية وقدرت على الاستمرار بفضل منهجها الذي يتسم بالحركة، فبدلا من ان يضعف صوت أنصارها محاولين بين الفترة والأخرى ان يطوروا من بعض قضاياها او مفاهيمها؛ وهو الأمر الذي يجعلها متجددة واكثر خصوبة ،ولم تتميز نظرية الانعكاس بهذا فحسب بل إضافة الى ما تقدم فإنها تتميز عن سائر النظريات بكونها لم تركز على جانب واحد من جوانب الظاهرة الأدبية (ركزت نظرية المحاكاة على

زاوية المتلقي ،واهتمت نظرية التعبير بزاوية المبدع، ونظرية الخلق بزاوية العمل او النص الادبي) وانما تناولتها من كافة جوانبها.

كما حاولت النظرية ان تفسر وتعل الظاهرة الأدبية باعتبارها جزءا من الظاهرة الثقافية عامة مع الاهتمام بخصوصيتها واستقلاليتها النسبية عن بقية أنساق المعرفة والعلوم الإنسانية .وترى الفلسفة الواقعية المادية ان الواقع المادي اي علاقات الإنتاج وقوى الإنتاج (وهي ما تسميه بالبناء التحتية) تولد وعيا محددا هذا الوعي يضم الثقافة والفلسفة والقوانين والدساتير والفكر والفن (وهو ما تسميه بالبناء الفوقي). وترى ان أي تغير في البناء التحتي يستتبع تغيرا في البناء الفوقي ؛ أي ان التغير في البناء الاقتصادي والاجتماعي يؤدي الى تغير في شكل الوعي او مجمل البناء الفوقي .غير ان العلاقة بين البناءين علاقة جدلية بمعنى ان الوعي او البناء الفوقي يعود فيؤثر في البناء التحتية من خلال تثبيته او تحويره او تعديله او تغييره .ومع أنها تؤكد بأن لكل منهما استقلالية نسبية فإنها تؤكد كذلك الاستقلالية النسبية لكل فرع او نسق من فروع البناء الفوقي كالفن والفلسفة والسياسة اذ لكل فرع قوانينه الخاصة به ،ويمكن ان نمثل على العلاقة بين البناءين التحتي والفقير بانتقال المجتمع من العصر الاقطاعين الى العصر البرجوازية حيث تغيرت أشكال الوعي والقيم والمفاهيم الفلسفية والأدبية والفنية.

فكل تغير في علاقات الإنتاج او في البناء الاقتصادي الاجتماعي يستتبع بالضرورة تغيرا في الرؤية لمفهوم المجتمع ،والانسان واللغة ،والادب والقيم... وهو ما يؤدي بالضرورة الى تغير في الأشكال الأدبية من حيث الموضوعات والأساليب والأهداف، وهذا يعنيان الادب انعكاس للواقع الاجتماعي ؛الكنه لا يعني في الوقت ذاته ان الادب مجرد تابع ومتلق للظروف الخارجية لأنه ظاهرة متطورة أي تؤثر وتتأثر بالعلاقات الاجتماعية مثلما يؤثر البناء الفوقي بعد استقراره في تثبيت او تحوير او هدم البناء التحتية.

2_انواع الانعكاس:

بما ان المجتمع ليس كلا متجانسا فإننا نلمس فيه ثقافتين ،ثقافة سائدة هي ثقافة الطبقة السائدة والسيطرة على المجتمع ،وعناصر ثقافة أخرى تبنيها الطبقات المقهورة والمستغلة والسيطرة عليها ،وعلى

هذا الأساس فإن للفن والأدب بعدا طبقا اجتماعيا ، أي هناك أعمال أدبية ممتثلة للواقع الاجتماعي وتدعو للتصالح معه ، وأعمال أخرى تطمح الى هدم العلاقات القائمة لبناء مجتمع افضل؛ وهذا ما يجعل للانعكاس أنواعا:

2_1 انعكاس طبيعي:(مزيف)

2_2 انعكاس واقعي:(صادق) على حد تعبير لوكاتش وهذا يدل بان المقولة التي تستند إليها نظرية الانعكاس والتي تتمثل في ان الادب انعكاس للواقع الاجتماعي، تعني ان الانعكاس ليس آليا ولا متوازيا ولا بسيطا وانما هو عملية متداخلة معقدة مركبة.

3_مواقف نظرية الانعكاس:

_ترى نظرية المحاكاة ان الادب يظهر عواطف القارئ ،وترى نظرية التعبير ان مهمة الادب هي إثارة انفعالات وعواطف القارئ ،اما نظرية الخلق فترى ان الادب يسلي القارئ ويخلق لديه إحساسا بالمتعة الخالصة او بالجمال الخالص. ومن كل هذا يتبين ان القارئ مجرد معلق للعمل .اما نظرية الانعكاس فإنها تنظر للقارئ كمتلق ومشاركة بشكل غير مباشر في عملية الابداع الأدبي.

_ترى هذه النظرية أي نظرية الانعكاس ان الادب فعالية اجتماعيّة وهذا يعني ان الادب تجربة إنسانية ؛فالأديب يهدف من وراء تجسيد رؤيته بشكل جمالي لا لإظهار براعته الفنية او مهاراته اللغوية او استعراض ثقافته _بل لكي نشاركه التجربة بشكل يؤدي الى تغيير وجهة نظرنا_كقراء _اوتعديلها او تأكيد ما كنا نؤمن به.فالإنسجام الفكري والشعوري بين أفراد المجتمع او الطبقة الاجتماعية هو الجدوى الحقيقية للأدب.

-ترى نظرية الانعكاس ان وظيفة الأدب تتغير من عصر الى عصر ومن مرحلة اجتماعية الى أخرى .فإنها تؤكد بان للأدب الناضج وظيفته الدائمة التي تتمثل في تحريك الانسان بكليته فكره وشعوره، عقله وأحاسيسه لكي يمكنه من المساهمة في تغيير واقعه الاجتماعي نحو الأفضل.

4_ملاحظات حوله نظرية الانعكاس :

1_تستند النظرية الى الفلسفة الواقعية المادية وهي بهذا تقف مضادة للنظريات الأدبية الثلاث سواء في رؤيتها لنشأة الادب او طبيعته او وظيفته.

2_رفض أعلام نظرية الانعكاس فكرة الفن الخالص والجمال الخالص كما رفضوا الادب الذاتي والفردي، والاهم من هذا وذاك أنهم رفضوا ان تكون العواطف والانفعالات _فحسب_المحور الرئيسي للأدب، مع أنهم لم يغفلوا اثرها وأهميتها في تشكيل الأعمال الأدبيّة.

3_شدد اعلام نظرية الانعكاس على الدلالة الاجتماعية للأعمال الأدبية والفنية وعلى الصلة بين الادب والمجتمع ،غير ان مدى العلاقة بين الادب والمجتمع وشكل هذه العلاقة قد ظل ومازال مثار نقاش واسع بين اعلام هذه النظرية وخصومها، وبين اعلامها فيما بينهم على نحو ما نرى في كتابات بليخانوف ولوكاتش وارنست نيشر وغيرهم.

المرجع: شكري عزيز الماضي: محاضرات في نظرية الأدب، دار البعث ،قسنطينة،الجزائر،1984.